مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنينِ واحداً ونقضَ في جسدِهِ حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائضه ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِهِ إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالح كليهما في جسدٍ واحدٍ مع اللهِ في الصليبِ بقتله العداوة في نفسه* فجاء وبشَّركم بالسلامِ البعيدين منكم والقريبين* لأنَّ به لنا كِلينا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحدٍ* فلستم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطِني القديسينَ وأهلَ بيتِ اللهِ* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرِ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي به يُنسَقُ البُنيانُ كلُّه فينمو هيكلاً مقدَّساً في الربِّ* وفيه أنتم أيضاً تُبنَونَ معاً مسكِناً للهِ في الروح.

الغنى والحزن

«فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنَّه كان غنيًّا جدًّا» (لو ١٨: ٢٣). هذا الكلام يشير إلى الصراع الذي يختبره كلُّ إنسان يشتهي أن يرث الحياة الأبدية. يتّضح لنا من هذه الآية أن الغِنى كان سبباً لحزن الإنسان خلافاً لكل المعتقدات البشرية التي تعتبره مصدراً للفرح. في الواقع، ليس الغِنى أو الفقر هما مصدر سعادة الإنسان أو حزنه، بل طريقة تفاعله مع ما يملكه هي التي تجعله فَرِحاً أو حزيناً. إن السعادة والحزن ينبعان من داخل الإنسان ولا يتأتيان من الخارج، لذلك يسعى المؤمن لاكتساب فرح وسلام لا يتأثّران كثيراً بأوضاعه الخارجيّة المتقلبة وغير الثابتة.

لماذا أصبح غِنى الشاب المذكور في الإنجيل مصدراً لحزنه؟ لأن غناه كان عائقاً دون وصوله إلى ما يصبو إليه ألا وهو الحياة الأبدية. قد يسأل الإنسان كيف يقف الغِنى عائقاً أمام الولوج إلى ملكوت الله؟ الجواب البسيط هو أن المعبر الوحيد الذي يسمح للمؤمن أن يرث الحياة الأبدية هو التخلّي عن كل شيء واتّباع المسيح. لكن اتّباع الرب ليس سهلاً على كل الناس، فقط الأحرار منهم يجدون إلى ذلك سبيلاً، أي الذين تحرّروا من أهوائهم وخطاياهم ومن أي أمرٍ يتسلّط عليهم. منذ البدء خلق الربُّ الإله الإنسان حرًّا، كما أنه سلّطه على كلّ الخليقة حين قال: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلّطون على سمكِ البحر وعلى طير السماءِ وعلى البهائم وعلى كلِّ الأرض» (تك ١: ٢٦). غير أن الإنسان إثر سقوطه في الخطيئة قَلَبَ الآية فأصبح هو المُستعبَد من أهوائه ومقتنياته، ومن الخليقة التي دُعي للتسلّط عليها. لقد وضع الربُّ الوصايا والناموس ليعيد للإنسان حريَّته، لذلك سأل يسوع الشاب الذي أراد أن يرث الحياة الأبدية عن الوصايا، فأجابه الغني: «كلُّ هذا قد حفِظْته منذ صِبائي» (لو ١٨: ٢١). ثم طلب منه يسوع أن يتمم الغاية من كلّ الجهاد الذي بذله في حفظ الوصايا، ألا وهي المحبة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن «المحبة هي جواز السفر الذي به يعبر الإنسان كلَّ أبواب السماء دون عائق. ليست المحبة مجرّد مشاعر، لأنها إن وقفت عند حدود المشاعر

العدد ٢٠١١/٤٨

الأحد ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١١

تذكار القديس المعظّم في الشهداء يعقوب الفارسي المقطّع

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً له وقائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله* إنَّك تعرِفُ الوصايا لا تزنِ. لا تقتُلْ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزور. أكرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال له واحدةٌ تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك ووَزِّعه على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنّه كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوع قد حزِنَ قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّه لأسهل أن يدخل الجَمَلُ في ثَقبِ الإبرةِ من أن يدخُلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال السامِعون فمَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فقال ما لا يُستطاع عند الناسِ مُستطاعٌ عند اللهِ.

ولم تتخطَها إلى الأفعال تكون بدون قيمة تُذكر. المحبة الحقيقيّة هي على مِثال محبّةِ الله لنا، فهو خدم ويخدم حاجاتِنا الجسدية والروحية في آن. مَن وصل إلى المحبة الكاملة لله والقريب لا يعود يتسلّط عليه أي شيء، فهو مستعدٌّ للتخلّي عن كل شيء بغية اتّباع الرب وخدمة الآخر.

قد يعتقد بعضُ مَن يقرأ إنجيل اليوم أن كلام الرب فيه موجَّه فقط للأثرياء، لكن هذا ليس دقيقاً لأن كُلاًّ منا لديه ما يغنيه. أعني بذلك ليس فقط المال، بل أيضاً الصحة والجمال والفكر والعلم والمكانة الاجتماعية وأموراً أخرى كثيرة تغني الإنسان وهو يتّكل عليها. مَن يحبُّ اللهَ حقاً ويبتغي أن يشاركه ملكوته، يجب أن يتعلّم كيف يستغني عن كلِّ ما يملكه ويتَّكل عليه في حضوره في هذا العالم، لئلا يتسلّط عليه بشيء. عندئذٍ يغدو المسيح وحده رجاءه ومشتهاه وسنده، وتغدو خدمة الآخر تعزيته وفرحه.

إذاً في العمق، لا يدعونا الرب يسوع للتخلّي عن المال فقط، بل عن كل ما نتّكل عليه من الأمور الدنيوية، وأكبر دليل على ذلك كلام الرسل الذي جاء مباشرةً بعد هذا المقطع الإنجيلي حيث تكلّم بطرس الرسول باسمهم قائلاً: «ها نحن قد تركنا كلّ شيءٍ وتبعناك» (لو ١٨: ٢٨). الرسل لم يكونوا ذوي أموال طائلة، بل مجرد صيادين، لكنهم تركوا مصدر غناهم وما يتّكلون عليه وحتى عائلاتهم حبًّا بالمسيح.

دعوة الرب يسوع التي سمعناها في إنجيل اليوم ليست مستحيلة، وإلا لما كان لدينا كلّ هذه الربوات من القديسين الذين عاشوا بحسبها. أكثر مثال على ذلك هو الرسول بولس الذي قال: «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسِبْتُهُ من أجل المسيح خَسارةً، بل إنّي أحسب كلَّ شيءٍ أيضاً خسارةً من أجل فضْلِ معرفةِ المسيح يسوعَ ربّي الذي من أجله خسرت كلَّ الأشياءِ وأنا أحسبها نُفايةً لكي أربح المسيحَ وأُوجد فيه» (في ٣: ٧–٩).

نسأل الله في هذا اليوم أن يعلّمنا كيف نجعله هو غنانا، وأن يعطينا الشجاعة والإيمان والمحبة لنطلب أولاً ملكوت الله ولنكون على استعدادٍ للتضحية في سبيله. فلنفعل ذلك واثقين بكلامه: «أن ليس أحدٌ ترك بيتاً أو والدَين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله، إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» (لو ١٨: ٢٩–٣٠).

العائلة والقداسة

العائلة هي المصدر الذي يعطي الكنيسة والوطن قديسيه وشبابه ومستقبله. في العائلة يكتسب المرء منذ الطفولة أبسط الأمور من تصرّفاتٍ وقيم وأخلاق، كما أنّه يتشرّب الإيمان منذ طفوليّته. في شرقنا ترتكز المجتمعات على العائلة وعلى الترابط بين الأفراد. نرى العائلة ملتفّةً حول بعضها البعض وجاهزةً لمساندة أيّ فردٍ فيها يتعرّض لمشكلةٍ ما أو يضعف أمام تجربة.

في قصة القديس يعقوب الفارسي الذي نعيّد له في ٢٧ تشرين الثاني نجد مثالاً على هذا التعاون العائلي. ففي حين كان على يعقوب أن يختار بين إيمانه بالرب يسوع والحظوة لدى الشاه، إختار إمتيازات هذا الدهر وأمجاده وبات شريك الشاه في عبادة الأوثان. عندما ضلّ قديسنا عن الإيمان،

تأمل

لا نظنّن أنّ الغِنى خير عظيم. الخير العظيم ليس أن يمتلك أحد أموالاً بل خوف الله. الإنسان البار، الذي لأجل فضيلته لديه جرأة كبيرة أمام الله، حتى ولو كان أفقر من الجميع فإنه يستطيع مواجهة كلّ مصيبة. في الحالات التي تكون فيها الأموال غير نافعة، يحقق القديس ما لا يمكن تحقيقه، يكفي فقط أن يرفع يديه إلى السماء ويطلب تدخّل الله.

... كل مَن يعتبر ثروته مشتركة فهي ليست ثروته وحده ولكنه يتقاسمها مع الآخرين، كما أنّ ثروة الآخرين ستكون له لأنه سيأخذ كلّ ما يحتاج من الجميع، بينما مَن يعتبر نفسه سيد أملاكه ولا يعطي شيئاً لأحد، ليس فقط لن يأخذ شيئاً من الآخرين مهما صغُر، بل حتى أمواله هو لن يملكها بما أنها في النهاية لا تخصّه بقدر ما تخصّ اللصوص والدائنين والورثة...

عندما نفقد الثروات والأموال، يجب ألا نقلق بل نقول: «ليكن الله مباركاً»، وسنجد غنىً أكبر. إنّ فائدتنا بهذا الكلام أكثر بكثير من بذلنا كلّ ما نملك في سبيل الأعمال الصالحة، أو تجوّلنا في كلّ مكان باحثين عن الفقراء لكي نساعدهم، أو

هبّت والدته إلى إرشاده وتوعيته حول الخطيئة التي اقترفها. كتبت والدته مع زوجته رسالةً تنوحان بها بسبب الخطيئة وتعلِمانه بأنهما تصلّيان إلى الرب الإله لكي يفتح عينيه المغمضتين ويعود إلى الإيمان بالرب يسوع. نجد هنا دور الأم التي هي العمود الفقري في العائلة والمنزل. فكما تغذّي الأم رضيعها لينمو جسدياً، كذلك تغذّيه روحياً في مسائل الإيمان لتنمو روحه. ولا تقتصر هذه العناية على الطفولة بل تمتدّ مدى العمر، فحتى عندما يكبر الأولاد لا تنكفئ الأم عن الاهتمام بهم. في هذا الإطار لا يمكن أن ننسى دور العذراء مريم حين طلبت من الرب يسوع في عرس قانا الجليل أن يعطي الخمر فما كان من السيّد إلاّ أن استجاب لطلب والدته رغم قوله بأنّ ساعته لم تأتِ بعد. هذا التأثير الذي تحظى به الأم ليس غريباً عن مجتمعنا الذي لا يزال محافظاً على بعض القيم المتوارثة. أيضاً لا ننسى دور الزوجة التي هي، وكما نقول بالعامية «جسر البيت». ولكن مع التطوّر الاجتماعي في الحقبة الأخيرة تكاثرت المشاكل العائليّة، وازداد التباعد بين الأفراد. ونشهد اليوم حالات انفصالٍ مؤسفة تزداد يوماً بعد يوم. كنتيجةٍ لذلك نرى الشباب تائهاً في الشوارع تائقاً خلف أهواءٍ عالميّةٍ ورغباتٍ تعطيه سعادةً فوريةً دون الانتباه إلى فقدان السعادة الأبدية. هذه السعادة التي أصبحت مفردةً غريبةً عن قاموس هذا العالم.

أمام هذه المشاكل نجد أبناءنا يلومون الكنيسة والكاهن. إنّ هذا لمنطقي نفسيًّا، إذ من السهل والمريح أن يلقي المرء اللوم على غيره ليرفع المسؤولية عنه. هذا لا يُعفي الكنيسة من مسؤولياتها. ولكن هل ينظر هؤلاء إلى جذور المشكلة حين بدأت الإضطرابات في العائلة؟ في الكثير من الأحيان يرفض الطرفان نصيحة الكاهن مصرّين على المواقف العدائية من الشريك. في المقابل تنشر الكنيسة رسالة المحبّة معطيةً إيّانا المثال الحقّ للعائلة من خلال السيّد وطاعته لوالدته ولأبيه السماوي. غياب المحبة يؤدّي إلى التكبّر والفردية وتالياً إلى رفض الآخر. لا بدّ من المشاكل الصغيرة أو الإختلاف في وجهات النظر ضمن العائلة، ولكنّ المحبة هي السور الذي يصون الحياة العائلية المشتركة. لكن لنحذرْ من المحبّة الأنانية حين يتحوّل الأهل إلى السيطرة على أولادهم بشكل متطرّف. عندما يُجبر الأهل أولادهم أن يكونوا كما يريدون هم دون احترام إرادة الأولاد، وهذه حالة امتلاك للآخر لا حالة تربية. لو أحبّت والدة القديس يعقوب ابنها محبّة أنانيّة لفرحت للمنصب الذي وصل إليه في حاشية الشاه. ولكنّ محبّتها الحقّة أدّت بها إلى أن تفضّل موته كشهيدٍ للمسيح على التنعّم بالخيرات الدنيوية الزائلة.

يجب أن لا ننسى أنّ القديسين ليسوا أشخاصاً من عالم آخر. هم أشخاصٌ يولدون ويعيشون مثلنا. القديسون نشأوا في عائلاتٍ كان المسيح ركنها، وافتخرت بصليبه الذي رُفع عليه من أجلنا. إنّ القداسة لدعوةٌ لنا جميعاً دون استثناء إذ لم يُصلب المسيح من أجل فئة معيّنة بل من أجل الجميع. كما أنّ القداسة ليست محصورةً في زمنٍ قد ولّى. القديس يولد من امرأةٍ وعلى هذه المرأة أن تربّيه على القداسة. كما أنّه من المهمّ ألاّ نخاف الموت مقابل التمتّع بملذّات هذا العالم.

صرفنا أموالنا لكي نقدّم طعاماً للجائعين. لهذا السبب لا أعظّم أيوب لأنّ بيته كان مفتوحاً لأولئك المحتاجين للمساعدة، بقدر ما لأنه احتمل خسارة أملاكه بسرور وتمجيد الله. كلّ مَنْ يستطيع، عندما يعاني من مصيبة، أن يقول بصدق وبصبر كلّ ما قاله أيوب: «الرب أعطى والرب أخذ» (أي ١: ٢١)، سيُعلَن، لهذا السبب فقط، باراً مع أيوب، وسيبقى ممجّداً إلى جانب إبرهيم. عندما يخطف الشيطان ثروتك بأيّ طريقة كانت وأنت تمجّد الرب، تجرح العدو مرتين: من جهة لأنك لم تحزن لكلّ ما فقدت، ومن جهة أخرى لأنك تقبل أيضاً التعاسة وتشكر الله. إن رأى الشيطان أنك تحزن لخسارة الأموال وتخاصم الله فإنه لن يتوقف أبداً عن أن يسبّب لك تجارب مماثلة، لكن إن رآك تواجه حتى الدمار الكبير بصبر أيوب وطول أناة فسيتوقف عن محاربتك لكي لا يهيّئ لك أكاليل لامعة رغماً عنه. فأيوب بسبب موقفه المرضيّ لله، أخذ ما فقده مضاعفاً، لكن أنت لن تأخذ فقط ضعفين أو ثلاثة بل مئة ضعف، إن احتملتَ المصائب بشجاعة روحية، والأهم أنك سترث الحياة الأبدية التي أتمنى أن نتمتّع بها جميعنا بنعمة الرب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

زيارة بطريرك روسيا

في إطار زيارته الكرسي الانطاكي المقدس، قام قداسة بطريرك موسكو وعموم الروسيا كيريل بزيارة كاتدرائية القديس جاورجيوس في وسط بيروت، حيث كان في استقباله غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع مع سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس يحيط بهما عدد من المطارنة وكهنة الأبرشية وجمع من المؤمنين. وقد رحب غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع بضيفه قائلاً: «أيها الأحباء، يطيب لنا اليوم أن نقدّم كلمات الشكر لله والترحيب بضيفنا الكبير بطريرك موسكو وكل روسيا، ويُسعدني أن أكون للمرة الأولى في هذه الكاتدرائية المقدسة حيث تربَّيتُ على الترتيل وعلى الحياة الكهنوتية لسنين عديدة، لذلك يمكن القول انني أتجاوز بالعمر أكثرية الحاضرين. نحن نريد اليوم، بواسطة سيّدنا الياس متروبوليت بيروت وتوابعها الجزيل الإحترام والذي لنا الحظ بأن نراه في بيروت، أن يسأل الله أن يكون شعبنا دائماً شعباً مباركاً...».

ثم رحب سيادة المتروبوليت الياس بقداسته قائلاً: «من الصعب جداً أن أتكلّم بعد أبي وسيّدي صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس، ولكنّنا في الكنيسة نتعلّم أولاً الطاعة، وفي الطاعة ننمو. فطاعةً لصاحب الغبطة وقد عبَّر ما يكفي عن شعوره وعن شعورنا نرحّب بكم مجدداً يا صاحب القداسة ونقول لكم أنتم في بيتكم، أنتم في كنيستكم، وما أحلى وما أجمل أن تجتمع الإخوة معاً. الكنيسة التي أنتم ونحن فيها هي واحدة، وليس أحدٌ منا بعيداً عن الآخر طالما يرفع صوته إلى الإله الواحد المتجسّد لخلاصنا. صاحب القداسة، أنتم تقفون في كنيسة بُنيت آثارها منذ القرن الرابع، في هذه المدينة التي كان عليها الأسقف الرسول كوارتس، أحد الرسل السبعين. هذا الشعب الذي يرحّب بكم هو وريث القداسة منذ القِدَم، ونسعى معاً أن نبقى في هذه الطريق التي تؤدّي إلى القداسة، أي التي توحّدنا بالرب يسوع. فطالما أنتم هنا مع الإخوة الأساقفة والمطارنة والكهنة نسألكم أن ترفعوا الصلاة من أجلنا ومن أجل خلاصنا ومن أجل أن نبقى أمناء للرسالة التي اختارها الرب لنا. فبصلواتكم وبصلوات أبينا وسيّدنا البطريرك إغناطيوس، نحن واثقون بأنّنا سنسير بالرغم من كل صعوبة وشدّة وضيق في الطريق التي رُسِمت لنا من الرب التي تُصعدنا إلى ملكوته، آمين».

ختاماً شكر قداسته غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع وسيادة المتروبوليت الياس على استقبالهما له في هذه الكاتدرائية التاريخية.

تذكار البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة تذكار أبينا البار بورفيريوس الرائي تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢ كانون الأول في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb